Subtleties of the Meanings of Similar Verses in the Quranic Structure, The Study of the Story of Moses (PBUH) in the Al-Naml and A-Qasas (the View of Fazel Alsamarai)

Hamed Sedghi[*]

Zahra Moradi[**]

Abstract:

Rhetoric scholars and enthusiasts of miracles of Quranic expressions have always been seeking to elicit semantic delicacies in the Quran by utilizing the latest achievements of linguistic sciences. Similar verses of the Quran, which scholars believe contain semantic development, are among the arguments of opponents of literary miracles. This article, by using a descriptive-analytical method, aims to study the viewpoint and style of Fazel Saleh Alsamerai (an Iraqi scholar) in rejecting doubts over the miracles by relying on Quranic Stories. He has applied the two sciences of rhetoric and syntax in explaining his views and has justified similar verses. Studying the story of Moses (PBUH) in two books of *Quranic Interpretation* and *Lamesat Bayaniah* clarifies that Fazel's viewpoint is based on the similar structure and categorization which had been mentioned in similar verses. Alsamerai, studying the results of past scholars, put together similar verses to both reject synonymies and explain the purpose, rhetoric, and literary miracle of the Quran, especially its artistic image using the word context, repetition, and appropriateness.

Keywords: The Holy Quran, Verbal Similarity, Fazel Alsameray, the Story of Moses (AS).

References:

- The Holy Quran.
- Aareif, A. H. (2002). *Tamam Hassan Raedan loghavian*. Jordan: A`lam Al-kotob.
- Al-alusi, Sh. (1993). *Tafsir ruh almaani*. Beirut: Dar Al-kotob Al-elmy.
- Al-alawi, Y.H. (2002). *Al-Taraz le'asrar al-balaghat wa oulum haqayiq al'iieja.* Beirut: Al-maktabat Al-Asryia.
- Al-gharnati, Z. (no date). *Melak Al-tawil al-qate*. Beirut: Dar Alkotob Al-elmia.
- Al-kermani, B. (no date). *Al-borhan fi towjih motashabeh alquran.* Cairo: Dar Alfazilat.

[*] Professor of Language and Literature, Kharazmi University, Tehran, Iran
(Responsible author) sedghi@khu.ac.ir

[**] Ph. D. Student of Language and Literature, Islamic Azad University, Science and Research Branch, Tehran, Iran
hrz1340@yahoo.com

Received: 26/08/2018 Accepted: 14/10/2019

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

Doi: 10.22108/rall.2019.112668.1161

- Al-khatib Al'iskafy, A.M. (no date). D*ourat Al-tanzil va Ghorat Altaawil*. Beirut: Dar Al-Turath Library.
- Almonjed. M.N. (1997). *Al-taradof fi al-quran bain al-nazariat wa al-tatbigh*. Damascus: Dar Al-fekr.
- Al-mutaeni, A. (1992). *Khsayes al- taabir al-qurani*. Egypt: Maktab Al-wahab.
- Ibn Al-Jawzi, A. (1987*). Fonun al'afnan fi oyun olum alqurani*. Beirut: Dar Al-Bashayer.
- Ibn Manzoor, M. M. (1993). *Lesan al-arab*. Beirut: Dar Alsader.
- Jebali, M. R. (2012). *Tawjih Al-mutashabih Al-lafazii fi Al-quran bayn Alqudama wa l,mohahdithin (Alghrnati wa Alsamerai).* Department of the Quran and Hadith Academy of Islamic Studies. Kuala Lumpur: University of Malaya.
- Maarefat, M. (2007). *Al-tamhid fi oulum al-quran*. Qom: Al-tamhid Library.
- Matani, M. (2003). *Sorah alqasas drasaton tahliliyton*. Baghdad University: Baghdad University, Faculty of Islamic Sciences.
- Mostafawi, H. (1990). *Altahqiq fi kalemat Alquran*. Tehran: Ministry of Culture and Islamic Guidance.
- Nassar, H. (2003). *Altekrar al-lafzi* fi al-quran. Cairo: Maktab Al-khanchi.
- Ragheb Isfahani, M. (1991). *Al-mofradat fi gharib Al-qurani*. Beirut: Dar Al-Shamiya.
- Razi, F. (1999). *Al-tafsir al-kabir*. Beirut: Dar Al-Turath Library.
- Samerrai, F. S. (1998). *Al-taabir alqurani*. Jordan: Dar Ammar Publishing.
- Samerrai, F. S (2006). *Lamasat bayanih fi nusus men altanzil*. Cairo: Alatek le Nashr Company.
- Samerrai, M. S. (2009). *Dirasat al-motashabih al-lafzii min ay al-tanzil fi ketab Melak al-Ta`wil.* Jordan: Dar Ammar Publishing.
- Saqr, A. (Ed.) (1973). *Tawil mushakl alqurani*. Cairo: Dar Al-Turath Library.
- Suyuti, J. (1996). *Al-etqan fi oulom al- quran*. Lebanon: Dar Al-Fikr.
- Tabatabai, M. H. (1992). *Almizan*. Qum: Esmailian Publication.
- Tureihi, F. (1996). *Majmae al-bahrayn*. Tehran: Mortazavi Library.
- Zarkeshi, M. B. (1975). *Al-borhan fi oulum al-qurani*. Investigation by Ibrahim Abdullah Kurd. Beirut: Dar Al Maaref.
- Zemakhshari, J. (1980). *Al-kashaf*. Beirut: Dar Al-kotob Al-Arabi.

بحوث في اللغة العربية: نصف سنوية علمية محكمة لكلية اللغات الأجنبية بجامعة إصفهان
العدد ٢٣ (خريف وشتاء ١٤٤٢هـ. ق/ ١٣٩٩ هـ. ش)، ص ٧٤ ـ ٥٧
المقالة: محكمة

دقةُ معاني الآيات المتشابهات في البِنية القرآنية
دراسةُ قصّة موسى (عليه السلام) في سورتَي النمل والقَصص
(وجهة نظر فاضل السامرائي)[1]

حامد صدقي ❖
زهرا مرادي ❖❖

الملخّص

لطالما اهتم علماء البلاغة بتقصي الدقّة الدلالية في القرآن الكريم مستفيدين من مكتسبات العلوم اللغوية الجديدة. إنّ الآيات المتشابهات في القرآن الكريم التي يرى علماء البيان أنّها تتضمّن المدى الدلالي، هي من جملة أدلّة المعارضين للإعجاز الأدبي. تناول هذه المقالةُ مستخدمةً المنهج الوصفي ـ التحليلي، دراسةَ وجهة نظر فاضل صالح السامرائي ونهجه في بيان الإعجاز، معتمدا على قصص القرآن الكريم. لقد استفاد هذا الأديب العراقي في شرح آرائه من علمَي النحو والبلاغة بصورة تطبيقية وقام بتأويل الآيات المتشابهات. من خلال دراسة قصّة موسى (عليه السلام) في كتابَيه *التعبير القرآني ولمسات بيانية*، يتّضح أنّ وجهة نظره مبنيّةٌ على أساس التقسيمات والترتيب نفسه الذي طُرح قديما حول الآيات المتشابهات. فمن أجل تحليلها، قد جمعَ الآياتِ المتشابهات إلى جانب بعضها كي يتمكّن من شرحها وفقا لقاعدة السياق والتكرار والتناسب في تبيين المقاصد القرآنية والبلاغة والإعجاز الأدبي في القرآن، لا سيّما في رسم الصورة الفنية؛ لذلك رفض الترادف في القرآن الكريم.

المفردات الرئيسية: القرآن، التشابه اللفظي، فاضل السامرائي، قصّة موسى (عليه السلام)

١ـ تاريخ التسلم: ١٣٩٧/٦/٤هـ. ش؛ تاريخ القبول: ١٣٩٨/٧/٢٢هـ. ش.

❖ أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الخوارزمي، طهران، إيران (الكاتب المسؤول) Email: sedghi@khu.ac.ir
❖❖ طالبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة علوم تحقيقات، طهران، إيران Email: zahra.moradi45@yahoo.com

Copyright©2020, University of Isfahan. This is an Open Access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License (http://creativecommons.org/licenses/BY-NC-ND/4.0), which permits others to download this work and share it with others as long as they credit it, but they cannot change it in any way or use it commercially.

Doi: 10.22108/rall.2019.112668.1161

١ـ المقدمة

قلّما تناول المفسرون المسلمون من مدرسة آل البيت (عليهم السلام) ـ لا سيّما في القرون الأخيرة ـ الجانبَ الأدبي من القرآن الكريم لأسباب مختلفة، وعند الضرورة أحالوا إلى *تفسير الكشّاف* أو *روح المعاني*. من الطبيعي، أنّ مَن يقرأ التفاسير المدونة بالفارسية أو التفاسير العربية التي كتبها الناطقون باللغة الفارسية، يجدها قلّما تهتمّ بالجماليات البلاغية في القرآن الكريم. ومن الواضح أنّ فهم جماليات اللغة الأمّ أسهلُ للناطقين بها.

ولكن أيمكن من خلال الأسلوب المناسب والسهل سكبُ جرعةٍ من التجلّيات اللفظيّة والدلالية القرآنية في الحياة الروحية؟ مع ذلك، إنّ المؤمنين بالإعجاز البياني في القرآن، والذين يرون التحدّيَ أيضا من الجانب نفسه، يسعون لكشف العناصر الأساسية للبيان في القرآن. فمهما يكن من شيء، فإنّنا بالتزامن مع المكتسبات العلمية الجديدة في علم اللغة، نواجه أبعادا جديدة من جوانب الإعجاز، لا سيّما في المجال الأدبي، ونحن شهودٌ على جهود المفسّرين في هذا العصر وكيف أنّهم يحاولون توضيح الزوايا المستورة في القرآن الكريم وإعطائها معاني عميقة.

حول أبعاد الإعجاز الأدبي في آيات القرآن المتشابهات، دُوِّنَت أبحاثٌ وتفاسيرُ منذ أكثر من ألف سنة، منها في الماضي ومنها في العصر الحالي؛ لكنّ محتوى كتاب *التعبير القرآني* لفاضل السامرائي ـ في الحقيقة ـ دراسة الآيات المتشابهات لفظيا في بيان الإعجاز الأدبي للقرآن الكريم، وكذلك بقية آثاره مثل *لمسات بيانيّة* حظيَت باهتمام لطرح نقاط جديدة وقابلة للتأمّل.

الجدير بالذكر أنّ كثير من المقالات والرسائل القرآنية استندت إلى آثار هذا الباحث القدير؛ ولكن قلّما توجد مقالة في تحليل آثاره في الوقت الحاضر. تزامنا مع ترجمة كتب فاضل السامرائي إلى اللغة الفارسية، يبدو من الضروري دراسة آثاره ونقدها.

٢ـ إشكالية البحث

نظرا إلى أنّ السامرائي تناول في كتاب *التعبير القرآني* و*لمسات بيانيّة*، الإعجاز الأدبي في القرآن فيما يتعلّق بالآيات المتشابهات، فقد شرح ـ في البداية ـ هدفه من التشابه وتقسيماته. من خلال السؤال عن الأسلوب الذي انتهج في تبرير الآيات المتشابهات وشرح اختلافاتها؛ يبدو هذا السوال، وهو هل أضاف هذا الأديب العراقي نقاطا جديدة إلى تقسيمات القدماء وتحليل الآيات؟ للإجابة عن هذا السؤال ووفقا للمنهج الوصفي ـ التحليلي وأيضا البحث المكتبي، قمنا بدراسة أهمّ مصادر القدماء في موضوع الآيات المتشابهات، مثل: *ملاك التأويل للكرماني*، *والبرهان* للزركشي، *والإتقان* للسيوطي، وتطبيقها وفقا لآرائه، ثم قمنا بدراسة الآيات المتشابهات في قصّة موسى (عليه السلام) كنموذج عملية وتقويم النتائج التي تمّ الوصول إليها.

٣ـ خلفية البحث

دُونت حتى الآن كتبٌ كثيرة حول الإعجاز الأدبي في القرآن الكريم؛ ولكن نظرا إلى ما تناول السامرائي في أهمّ كتبه في مجال الإعجاز البياني في القرآن الكريم من دراسة الآيات المتشابهات فإنّه سيؤخذ بالحسبان في الدراسات التي تمّت في هذا المجال.

منذ صدر الإسلام، قام القرّاءُ وحفَظةُ القرآن بحفظ الآيات. وبغية عدم نسيانها والوقوع في الخطأ، كانوا يجمعون الآيات المتشابهات من دون شرحٍ وتوضيح وكانوا يتّخذون علامات لها كي تكون أسهل حفظا. من جملة مَن قاموا بتدوين الآيات المتشابهات أو المتكرّرة، علي بن حمزة الكسائي (م ١٨٩ هـ). وفي العصر الحاضر، حدث تطور في تفسير القرآن بدأ في مصر

بواسطة الشيخ عبده، وسيّد قطب، وبنت الشاطئ و...؛ حيث طُرحت مباحثُ مثل السياق في التفسير وعدم الترادف في العلوم القرآنية بشكل أقوى بكثير من قبل. من الباحثين المعاصرين الذين لهم مؤلَّفاتٌ في المتشابهات اللفظية يمكن أن نذكر عبد العظيم المُطعِني المصري مؤلِّف كتاب "خصائص التعبير القرآني" (١٩٧٤م)، وفاضل صالح السامرائي من العراق مؤلِّف "التعبير القرآني" وغيره في هذا المجال. أخذ السامرائي الموقفين النحوي والمقامي، فضلا عن أنّه درس عدا أكبر من الآيات، في حين أنّ المطعني اهتم بعوامل أخرى، مثل سبب النزول. دُوِّنَت رسائلُ في تحليل آثاره، ومعظمها في مجال الموضوعات النحوية مثل: "الجملة النحوية عند المعاصرين دراسة وصفية تحليلية"، لمنى حامد طه النعيمي (٢٠١٢م)؛ درست فيها المؤلِّفة الجملَ العربيّة من وجهة نظر النحويين القدامى والجدد. وكذلك ودراسة "أثر الدلالة في التوجيه النحوي هند الدكتور فاضل السامرائي"، لعبد الزهرة دريول كريم (٢٠١٤ م)؛ و"توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين: الغرناطي وفاضل السامرائي" لمحمد رجايي أحمد الجبالي (٢٠١٢ م)؛ و"استدراكات الدكتور فاضل السامرائي على تراث النحو العربي"، لنبأ شاهر إسماعيل المعنونة (٢٠١٣ م)، وبالتالي لم يكن عمل مستقل في دراسة أعماله في الآيات المتشابهات خاصة القصص القرآنية.

٤ـ معنى التشابه من حيث اللغة والاصطلاح

إنّ دراسة هذا الموضوع واختيار المعنى الاصطلاحي يحتاج إلى مقالةٍ أخرى. لهذا ومن باب الاختصار، يتمّ الدخول إلى البحث مباشرا.

ليس المقصود من التشابه هو الآيات المتشابهة في مقابل الآيات المحكمة. حول هذا الأمر، سئل السامرائي، هل المتشابه في القرآن جزءٌ من المحكمات أم من المتشابهات؟ أجاب أنّ بعضها محدّدٌ بأنّه محكم والبعض الذي له تأويلٌ هو متشابه (الجبالي، 2012م، ص 202).

جاء في *لسان العرب*: شَبه بمعنى المِثل وجمعه اشباه والمتشابهات بمعنى المتماثلات (١٤١٤ هـ.ق، ج 13، ص3). وجاء في *المفردات*: «الشِّبه، الشَبَه والشّبيه»، في الحقيقة هو مماثلة من حيث الكيفيّة مثل اللون والطعم أو العداوة والظلم، والشبهة هي ما كان بين شيئين لا يمكن تمييزه بسبب التشابه الذي بينهما (أُتُوا بِهِ مُتَشَابِها) يعني بعض الفواكه تُشبه بعضها من حيث اللون، لكنّها مختلفة من حيث الطعم والحقيقة (1412 هـ.ق، ج 1، ص254).

المتشابه من القرآن يعني ما يصعب تفسيره بسبب تشابه بعضه مع البعض الآخر، إمّا من حيث اللفظ وإمّا من حيث المعنى. لقد قسّم الراغبُ المتشابهَ على ثلاثة أقسام: المتشابه من حيث اللفظ، المتشابه من حيث المعنى، والمتشابه لفظيّا ومعنويّا، ثمّ عرّف كلّ واحدٍ بأقسامه (المصدر نفسه، ج 1، ص 444). وجاء كذلك في كتاب *التحقيق*: التشابه بمعنى قبول المشابهة بشكل مستمر (1368 هـ.ش، ج 6، ص12).

والشُبهة هي أنّ شيئين لا يُميَّزان عن بعضهما في أصل المماثلة: ﴿**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً**﴾ (النساء ٤: ١٥٧). والتشابه بين شيئين: ﴿**شابَهَتْ قُلوبُهم**﴾ (الأنعام 6: 141) (*قاموس القرآن*، ج 2، ص4).

يقول السيوطي في *الإتقان* ـ حول الآيات المتشابهة لفظيا ـ المقصود هو: «**إيراد القصة الواحدة في صورٍ (نُقلت سور أيضا) شتّى، وفواصل مختلفة ...، قولُ الكلام بأشكال مختلفة وفواصل مختلفة، تقديما وتأخيرا وتعريفا وتنكيرا...**» (1996 م، ج 2، ص305)، ويذكر

في التتمة أنواعها. وقد ذكر الزركشي التعريفَ نفسه تقريبا (١٩٧٥ م، ج٢، ص١١٠). ليس للسامرائي بحثٌ نظري حول هذا الموضوع في هذين الكتابين؛ ولكنّه في *لمسات*، يقول بدافع الدخول في قصّة موسى (عليه السلام): **«سألوني عن سرّ اختلاف الآيات المشابهات في هذه القصّة، ولماذا ورد في مكانٍ «فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ» وفي مكانٍ آخر ورد «فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ» فاستعنتُ بالله كي أفسّر بيانها»** (٢٠٠٦ م، ص ٨٤). إذن يمكن القول أن المتشابه اللفظي هو تكرار المفهوم مع قليل من التغيير في اللفظ وهو من وجهة النظر البلاغية يتضمّن رسالة مستترة.

٤ـ١ـ اختلاف التكرار اللفظي عن المتشابه اللفظي

حول هذا الموضوع، يمكن الإشارة إلى ثلاث وجهات نظر: الأولى التكرار اللفظي، وهو جزء من المتشابه اللفظي ولا ينفصل عنه. المتشابه اللفظي يشتمل على التكرار اللفظي؛ ولكن عكسه غير صحيح، لأنّ المتشابه اللفظي يشتمل على ألفاظٍ يتمّ تكرارُها بحسب التغيّرات؛ الثانية البعضُ مثل حسين نصّار[1] يعدّون التكرارَ هو الأصل والمتشابه اللفظي هو الذيل (3003م، ص 64)؛ الثالثة فتح البعضُ أيضا لكلّ منهما بابا منفصلا ولم يعدّوهما ذيلا للآخر. طبعا يبدو أنّ هذا التكرار نفسه بحثه العلماء أكثر من التشابه اللفظي.

في رسالة *إعجاز القرآن*، قسّمَ الخطابي التكرارَ على قسمَين: نوعٌ مكروه وتكراره غير مفيد في الكلام، وهذا النوع لا وجود له في القرآن، النوع الآخر هو تكرار يقتضيه الحال والمقام، ويكون كلمة أو جملة. وفي الواقع، هنالك حاجةٌ إلى هذا التكرار؛ لذلك عدّ أبو هلال التكرارَ مفيدا للرسوخ في الذهن (علوى مقدم، ١٣٧٢هـ.ش، ص ٧).

٤ـ٢ـ تقسيمات المتشابه اللفظي أو التكرار

في مبحث تقسيم التكرار والمتشابه، قسّم العلماءُ التكرارَ إلى أنواع متعددة. وهو ـ في مجمله ـ تقسيم التكرار في اللفظ والتكرار في المعنى الذي ذُكر في كتاب *الطراز* (العلوي، 1433 هـ.ق، ج 3، ص 244)؛ أكان اللفظ كلمة واحدة أو جملة أم كان عدد التكرار قليلا أو كثيرا أم كان في سورة أو في عدّة سور. نظرا إلى أنّ تقسيمات السامرائي في أنواع التشابه في كتاب *التعبير* جاءت مبتكرة أو جاءت بأسلوب القدماء نفسه، فأصبحت موضعا للدراسة في المصادر المختلفة؛ ولكن تُدْرس لمقارنة المصدرين، أي ابن الجوزي والزركشي.

٤ـ٣ـ تقسيمات ابن الجوزي (م 577 هـ)

وضعَ ابنُ الجوزي في كتاب *فنون الأفنان*، أبوابا للتشابه اللفظي على أساس نوع الاختلاف في الآيات المكرّرة، وقام الزركشي وبعده السيوطي بتنظيمها وإضافة مواضيع إليها:

---

١. وُلد نصار في العام ١٩٢٥م؛ انتقل من فرع الطب إلى الأدب العربي، أنهى دراسته ونال شهادة الدكتوراه من جامعة القاهرة وكانت رسالته بعنوان المعجم العربي نشأته وتطوره. آثاره الأخرى هي في إعجاز القرآن والتاريخ العربي و... (الأهرام ٢٩ / ١١ / ٢٠١٧).

* الاختلاف في الترتيب، مثل: ﴿ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ (البقرة 2: 58)، و﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف ٧: ١٦١)؛

* الاختلاف في الزيادة والنقصان، مثل: ﴿الذينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة 2: 6)، و﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ (يس 36: 10) (إضافة حرف الواو)؛

* التقديم والتأخير، مثل: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (البقرة 2: 129)، و﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ (الجمعة 62: 2)؛

* التعريف والتنكير، مثل: ﴿بغير الحقّ﴾ (البقرة 2: 61)، و﴿بغير حقٍ﴾ (آل عمران ٣: ٢١)؛

* الاختلاف في الجمع والإفراد، مثل: ﴿أياماً معدودة﴾ (البقرة 2: 00)، و﴿أياماً معدوداتٍ﴾ (آل عمران 3: 24)؛

* الاختلاف في تبديل حرفٍ بحرفٍ آخر، مثل: ﴿فَكُلا﴾ (الأعراف ٧: ١٩)، و﴿وكُلا﴾ (البقرة ٢: ٣٥)؛

* الاختلاف في تبديل كلمة بكلمة أخرى، مثل: ﴿ألفينا﴾ (البقرة ٢: ١٧٠)، إلى ﴿وجدنا﴾ (لقمان31: 21)؛

❖ الاختلاف في الإدغام وتركه، مثل: ﴿يضرّعون ويتضرّعون﴾ (الأنعام 6: 42؛ الأعراف 7: 94) (1987 م، ص 020 ـ 000).

4.4. تقسيمات الزركشي

اهتم الزركشي بأمرَين في مجال المتشابه اللفظي: الأوّل اعتبارُ تكرارِ الألفاظ من حيث بنية تفاوتها، أي الألفاظ غير المتشابهة؛ والثاني اعتبار تكرار اللفظ (التعداد). لقد أوردنا هذه التقسيمات من دون الاستشهاد بذكر الآيات، لأنّها مشتركة تقريبا: 1. يردُ اللفظ بترتيبٍ في موضعٍ ويردُ عكسُه في موضعٍ آخر، وهذا كثيرٌ في القرآن؛ 2. التشابه بصورة الكثرة والنقصان؛ 3. حذف من الفعل؛ ٤. التقديم والتأخير، وهو يشبه ما ورد في الحالة الأولى؛ ٥. المعرفة والنكرة، مثل لفظة البلد التي وردت مرّةً معرفة ومرّةً أخرى نكرة؛ ٦. الجمع والمفرد؛ ٧. إبدالُ حرفٍ بحرفٍ آخر مثل إبدال حرف الفاء بالواو؛ ٨. إبدال كلمة بكلمة أخرى؛ ٩. الإدغام وتركه (1975 م، ج 1، ص 113 - 135).

عدد السيوطي في *الإتقان* في النوع الثالث والستين في الآيات المتشابهات ـ على غرار الزركشي ـ الإضافةَ والنقصان، والمعرفة والنكرة، والمفرد والجمع، والإدغام وفكّ الكلمات وتناولها واحدةً واحدةً بالشرح (1996 م، ج 2، ص 344).

قدّم الزركشي شرحا مفصّلا لأغراض التكرار وفوائده، وكذلك فعل السيوطي. ومن خلال دراسة آرائهم، أدركنا أن كليهما يشتركان في وجهات النظر. في هذا الباب، استفاد الزركشي من أسلوب الكسائي. وقد أضاف البعضُ أقساما إلى مواضيع الزركشي الثمانية في فصله الأوّل، ومنهم محمّد السامرائي نجل فاضل في كتاب *دراسة المتشابه اللفظي*. نشير إلى عدد من الحالات منها:

* الآيات المتشابهة التي تختلف في التأكيد، مثل: ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال 8: 39)، و﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة 2: 193).

* الاختلاف في بنية الوصف: ﴿**الزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾ (الأنعام ٦: ٩) (السامرائي، 2009م، ص 24).

أضاف البعض في تقسيمات المتشابه اللفظي، التكرارَ الذي من دون تغيير. مثل الآيتَين 134 و141 من سورة البقرة، حيث تكرّرت آيةٌ من دون أيِّ تغيير ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (البقرة 2: 134). يعتقد الخطيب الإسكافي أن لا تكرار هنا وأنّ كلّ آية جاءت بمقتضى حال موضوعها وتتعلّق بالتبري من أعمال أهل الكتاب وتهديدهم (بلا تا، ص 296).

٥ـ تقسيمات السامرائي

ترى هذه المقالة ـ من خلال دراسة مقارنة بعض آراء العلماء القدماء مع مواضيع كتابَي *التعبير ولمسات* ـ أنّ فاضل السامرائي في كتابه *التعبير القرآني*، ذكرَ كلّ الأقسام التي أوردها ابن الجوزي والزركشي في الآيات المتشابهات (المكرّرة) بعناوين مختلفة. وانطلاقا من كونه في الدرجة الأولى عالما في النحو، فقد أشار في الفصل الأوّل ـ في البنية في التعبير القرآني ـ إلى البنية الاسمية والفعلية، مثل: "مهلك، ويهلك"، وكذلك تغيير الصفة المشبّهة إلى مصدر، مثل: "بريء وبراء"، وباب "الإفعال والتفعيل".

فالآيتان المتشابهتان تختلفان في كلمةٍ، بحيث أنّ تلك الكلمة استُخدمت في موضعٍ على شكل اسم وفي موضع آخر على شكل فعل أو مصدر. زد على ذلك، أنّه يذكر كيف أنّ مع تغيير بنية الكلمة يتغيّر المعنى، كما أورد في هذا الفصل، بحثَ جمع الكثرة والقلّة. وفضلا عن مبحث التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتشبه والاختلاف، وأيضا التأكيد، أورد فصلا بعنوان الحشد الفنّي الذي يشتمل على أبعاد مختلفة من الفنّ القرآني في مجموعة ودرس تبلورَ هذه الفنون في قصّة موسى وآدم (عليهما السلام).

٦ـ قصّة النبي موسى (عليه السلام)

من جملة أجزاء القرآن التي تكثر فيها التجلّيات الفنية، قصّة النبي موسى (عليه السلام). درس السامرائي في كتاب *التعبير*، قصّتَي آدم وموسى(عليهما السلام) في سورتَي البقرة والأعراف، وكذلك تناول في كتابه *لمسات*، قصّة موسى (عليه السلام) في سورتَي النمل والقَصص. لم يلحظ علماءُ البيان المتأخّرون بعضَ الآيات في فهم أسرار هذا التكرار ووجه التشابه. لقصّة[1] النبي موسى (عليه السلام) موضعٌ خاص وآيات كثيرة في القرآن. كلّ سورة رسمت بُعدا من القصّة. ولقد ذكر بعض المفسّرين والباحثين في القرآن القصّةَ بحسب ترتيب الحادثة بشكل أفقي والبعض الآخر على أساس ترتيبها في السور. أما السامرائي فاهتمّ بالبنية التي يطرحها الاختلاف في الآيات المتشابهة في السور الأخرى، وذلك قبل الدخول في تحديد وجهة نظره في سورتَي النمل والقَصص.

---

١. يُكشف هنا عن تعريف القصّة والاختلاف بين القصص القرآنيّة وغيرها ويُكتفى بالاصطلاح الكلّي نفسه للقرآن.

٦-١- موسى (عليه السلام) في سورة البقرة والأعراف

يشرح السامرائي - في البداية - سياقَ سورتي البقرة والأعراف: تبدأ سورة البقره بالآية ﴿يا بَنِي إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾، لتبين النعم الإلهيّة؛ لكنّ سورة الأعراف في مقام إدانة بني إسرائيل ولومهم، لأنّهم قومٌ لا يَعتبرون. فهُم بعد عبور البحر وغرق آل فرعون، طلبوا من موسى أن يجعل لهم وثنا يعبدوه وحين ذهب موسى (عليه السلام) إلى ميقات ربه، عبدوا العجلَ، وعندما حرّم الله عليهم الصيدَ يومَ السبت اصطادوا السمكَ في ذلك اليوم؛ وبالتالي يتضح الاختلاف بين السياقَين وكلّ تعبيرٍ يعتمد عليه (1998م، ص212).

٦-٢- الآيات المتشابهة في سورتَي البقرة والأعراف (١٥ حالة اختلافٍ من وجهة نظر السامرائي)

آيات سورة البقرة: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدا وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة 2: 57 ـ 60).

آيات سورة الأعراف: ﴿و وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ۞ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطا أُمَما وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف ٧: ١٥٩ ـ ١٦٢).

تحديد نوع الاختلاف في تشابه آيات سورتي البقره والأعراف بشكل ملخّص في الجدول التالي

الرقم	البقرة	الأعراف	نوع الاختلاف في التشابه اللفظيّ
١	وإذا قلنا	وإذا قيل له	المعلوم والمجهول
٢	ادخلو	اسكنوا	إبدال الفعل
٣	فكلوا	وكلوا	إبدال الحرف
٤	رغدا	- - -	إضافة الاسم
٥	وادخلوا الباب سجّدا وقولوا حطّة	وقولوا حطّة وادخلوا الباب سجّدا	التقديم والتأخير
٦	نغفر لكم خطاياكم	نغفر لكم خطيئاتكم	نوع الجمع
٧	وسنزيد	سنزيد	إضافه (ذكر) الحرف
٨	على الذين ظلموا	الذين ظلموا منهم	إضافه جار ومجرور
٩	فأنزلنا	فأرسلنا	إبدال الفعل
١٠	على الذين ظلموا	عليهم	إبدال شبه الجملة
١١	يفسقون	يظلمون	إبدال الفعل

١٢	وإذ استسقى موسى لقومه	واذ استسقاه قومه	إبدال الاسم بضمير
١٣	فقلنا اضرب	... أن اضرب	إضافه الحرف
١٤	فانفجرت	فانبجست	إبدال الفعل
١٥	كلوا واشربوا من رزق الله	- - - - - - -	- - - - - -

درس السامرائي 15 حالة من الاختلافات في الآيات المتشابهة في القصّة على أساس السياق الذي يحتاج شرحه إلى مقالة منفصلة. أحد مصادر السامرائي هو كتاب *التفسير الكبير* وفيه عشر مسائل مشتركة مع أسئلته حول آيات القصة. بعض تلك الاختلافات في البقرة والأعراف على الشكل التالي: "قيل ـ قلنا؛ وادخلو ـ اسكنوا؛ وفكلوا ـ وكلوا؛ وخطاياكم ـ خطيئاتكم؛ ورغدا"؛ والتقديم والتأخير في الآيتين ادخلوا الباب سجّدا وقولوا حطّه و... (الرازي، ١٤٢٠ هـ.ق، ج ٣، ص ٤٥٣).

تناول الخطيب الإسكافي أيضا ستّ حالات اختلاف في *درّة التنزيل*. يمكن تقسيم الاختلاف في الآيات المتشابهة بكلمة وبجملة. بناءً على ذلك، جمع السامرّائي الآراء المختلفة وأضاف أيضا نقاطا إليها، مثل ابدال فعل "فانفجرت" إلى "فانبجست" أو إضافة حرف "أن" في "أن اضرب". الآن تتمّ الإشارة بصورة عابرة إلى سورة الشعراء أيضا.

٦ـ٣. بنية قصّة النبي موسى(عليه السلام) في سورة الأعراف والشعراء (١٢ حالة اختلاف)

تحديد نوع الاختلاف في تشابه آيات سورتي الأعراف والشعراء بشكل ملخّص في الجدول التالي

الرقم	الأعراف	الشعراء	نوع الاختلاف في التشابه اللفظيّ
١	قال الملاء من قوم فرعون - آية ١٠٩	قال للملاء حوله آية ٣٤	الفاعل
٢	يريد يخرجكما من أرضكم	يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره	الإضافة أو ذكر الجار والمجرور
٣	وأرسل في المدائن	وابعث في المدائن	ابدال الفعل
٤	بكل ساحر	بكل سحار	التغيير في الصيغة
٥	قالوا	قالوا لفرعون	ذكر المفعول
٦	إنّ لنا لأجرا	أإنّ لنا لأجرا	إضافة الاستفهام
٧	وإنكم لمن المقربين	وإنكم اذن لمن المقربين	ذكر الظرف
٨	وألقى السحرة ساجدين	فألقى السحرة ساجدين	إبدال الحرف
٩	قال فرعون آمنتم به	قال آمنتم له	إبدال حرف الجر
١٠	فسوف تعلمون	فلسوف تعلمون	ذكر الحرف
١١	ثم لأصلبنكم أجمعين	ولأصلبنكم أجمعين	إبدال الحرف
١٢	قالوا إنا إلى ربنا لمنقلبون	قالوا لا ضير إنا إلى ربنا لمنقلبون	ذكر لا ضير

موضوع القصة في الأعراف هو تاريخ بني إسرائيل، أي منذ بداية قصّة موسى مع فرعون إلى الحوادث التي تلت ذلك؛ لكن في سورة الشعراء تمّ بالتفصيل تناوُلُ هذه القصّة حتّى غرق فرعون وقومه. هذا يعني أنّ ما ورد في سورة الشعراء هو جزءٌ من الأعراف. فتناول السامرائي هنا الحالات المتشابهة وشرح المجموعة الفنيّة للآيات في الموضعين ـ أي السورتين ـ في اثنتي عشرة نقطة (1998م، ص 356). يطرح الإسكافي أيضا عشر حالات (بلا تا، ج2، ص628).

حول خصائص القصّة في سورة الشعراء، اهتمّ السامرائيّ بنقطتين: الأولى تفصيلها في نقل الأحداث؛ الثانية قوّة المواجهة والتحدّي. يتمّ تحليل الآيات المتشابهة في القصّة من خلال هذين الركنين. يعتقد السامرائي أنّ كلّ ألفاظ السورة لإثبات هاتين الحقيقتين.

القصّةُ في الأعراف مختصرة، وفيها على غرار ما في الشعراء قوّة التحدّي، وتبدأ بدعوة فرعون بأكثر العبارات إيجازا ﴿**إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الأعراف ٧: ١٠٤). قال الله تعالى لموسى (عليه السلام): اذهبْ إلى فرعون كي تدعوه، وطلب منه أن ياخذ معه بني إسرائيل؛ عندئذٍ خاف موسى أن يكذّبوه، ولم يظهر ذلك وأبدى قلقه بسبب قتله للقبطي، وطلب من الله تعالى أن يُرسل معه أخاه هارون ليساعده، فهدّأ اللهُ تعالى روعَه وقال أنا معكم. ثمّ بدأ الحوارُ بين موسى (عليه السلام) وفرعون؛ فذكّره فرعون كيف ربّاه في طفولته وذكّره بقتله المصري، وكيف مَنَّ عليه، ثم دار الاحتجاج في الأمر الإلهي. فسأل فرعونُ موسى مَن هو الله فأجابه: ﴿**قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ**﴾ (الشعراء 26: 24). حاول فرعون الذي لم يكن لديه ما يقوله، أن يتفوّقَ عليه من خلال تحريض أنصاره والسخرية منه؛ وفي النهاية، اتّهم موسى بالجنون.

٦ـ٤ـ دراسة الاختلافات في الآيات المتشابهة في سورتَي النمل والقصص من وجهة نظر السامرائي وغيره من العلماء (١٩حالة)

آيات سورة القصص: ﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**﴾ (القصص 28: 29ـ 33).

آيات سورة النمل: ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ۞ إِلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْما فَاسِقِينَ ۞ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ (النمل ٢٧: ٧ـ ١٣).

نلاحظ أن سورةُ القصص تشتمل على كلّ القصّة؛ ومن هذه الجهة تطرح كلّ مراحل حياة موسى منذ ما قبل الولادة حتّى الولادة، والرضاعة، والرشد، وقتل المصريّ، والفرار من مصر، والزواج، والعودة، وتبليغ الرسالة وغرق فرعون؛ ولكن سورة النمل تشتمل من الآية 2 إلى الآية 43 على قسمٍ قليلٍ من القصّة وتشير من الآية 8 الى 14 إلى الزمن الذي كان فيه موسى(عليه السلام) يبحث عن النار في البَريّة وكلام الله معه وتشير إلى المعجزتين. درس السامرائي في كتاب *لمسات*، هذه القصّةَ في السورتين التي فيها آيات متشابهات في تسع عشرة حالة. في البداية أخذ يصف الجوَّ المهيمن على السورتين.

أما بالنسبة إلى سياق السورتين فتكون سورة النمل مختصرة وسورة القصص مفصّلة، فضلا عن أنّ سورة النمل في شأن تكريم موسى(عليه السلام) أوضح من القصص، لأنّ سورة القصص تحتوي على جوٍّ من الخوف الذي كان قد هيمن على موسى(عليه السلام) وكذلك على أمه التي اضطرت إلى رميه في البحر وقال لها الله تعالى: ﴿**لا تخافي ولا تحزني**﴾ إلى أن قتلَ الشخصَ المصريّ وسيطر عليه الخوفُ مجدّدا ﴿**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ**﴾ (القصص 28: 18)، وعندما شجّعوا موسى على الفرار استبدّ به الخوف إلى أن التقى برجل صالح أخبره قصّته، فاطمأنه ﴿**فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ (القصص 28: 25). استمرّت حالةُ الخوف إلى أن صدر أمرُ الله تعالى بشأن فرعون. قال موسى لربّه: أخاف أن يقتلوني، لأنّني قتلت أحدهم ﴿**فأخاف أن يقتلون**﴾. فطلب من الله تعالى أن يرسلَ معه أخاه لتأييده ومساعدته؛ لكن في سورة النمل ذُكرت مسألةُ الخوف فقط عند رمي العصا التي تحوّلت إلى حيّة. تناول السامرائي من خلال هاتين الخاصّيّتَين، أي تفصيل سورة القصص والجوّ المهيمن عليها أي خوف النبي (عليه السلام) وجوهَ التشابه والخلاف في آيات السورتَين حول موسى.

٦ـ٥ـ دراسة الاختلافات في منهج السامرائي (السياق والمقام، التكرار والتناسب)

* في سورة النمل، نشاهدُ عبارة "إنّي آنستُ نارا"؛ ولكن في سورة القصص، أُضيفت إليها جملة "مِنْ جَانِبِ الطُّورِ" بسبب التفصيل في السورة نفسها (السامرائي، ٢٠٠٦م، ص٨٠).

* في سورة النمل "إذ قال موسى لأهله"؛ ولكن في سورة القصص، أضيفت كلمة "امكثوا" مما يدلّ على إيجاز سورة النمل. (المصدر نفسه، ص81).

* قال في سورة النمل: "سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ"، إلا أنه قال في سورة القصص: "لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ". في عبارة سورة النمل، تمّ تبيينُ الحكم بشكلٍ قطعي، أي سآتيكم بخبر؛ ولكن في سورة القصص، تُرافق مع الرجاء والأمل، أي ربّما آتي، لأنّ مقامَ الخوف في القصص يتنافى مع كلام اليقين والحسم؛ فضلا عن أنّ سورة النمل هي في مقام تكريم النبي موسى (عليه السلام) وأنّ استخدام أيّ تعبير يتناسب مع جوّ السورة التي شُرحت فيها القصّة.

من مزايا سورة القصص هو الأملُ، لأنّ لفظة "لعلّي، وعسى، ولعلّكم" تكرّرت فيها حوالى 20 مرّة؛ في حين أنّ في سورة النمل تمّ استخدام الألفاظ الدالّة على اليقين، مثلا يقول الله تعالى على لسان الهدهد: فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿**فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾ (النمل 27: 22)، أو ما يقول العفريت: ﴿**وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾ (النمل ٢٧: ٢٢)؛ حتى إنّ تناسبَ الآيتين في سورة النمل أيضا جدير بالاهتمام. ففي البداية، يقول الله تعالى: ﴿**سآتيكم منها بخبر**﴾ (النمل 27: 7)، وفي آخر السورة، يقول: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (النمل ٢٧: ٩٣) لاحظوا تناسب كلمتَي سآتيكم وسيريكم.

* على أساس الجوّ المهيمن على السورة، تكرّر فعل الإتيان في النمل اثنتي عشرة مرّة؛ ولكن في القصص، تكرّر ستّ مرّات. تكرار هذا الفعل دلالةٌ على القوّة والتأكيد مما يتناسب مع جوّ سورة النمل، وعدم تكراره في القصص هو بسبب جوّ الخوف المهيمن عليها.

* في سورة النمل، ذُكرت لفظة "شهاب قبس"، وفي سورة القصص ذُكرت "لفظة جَذوة". شهاب قبس هو شعلة نارٍ متوهّجة تنبعث منها حرارة كبيرة؛ ولكن الجذوة أو الجمرة هي الحطب الذي يحترق من دون لهيب؛ لهذا فإنّ استخدام شهاب قبس أفضل من الجمرة؛ الأوّل من موقع القوّة والثاني من موقع الخوف والخشية (السامرائي، 2006م، ص 44).

* جاء في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ﴾(النمل 27: 8)، وكذلك جاء في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ﴾ (القصص 28: 29). حول اختلاف هاتين اللفظتين، ينقل السامرائي عن *مفردات* الراغب، أنّ كلا الفعلَين بمعنى المجيء، ولكنّ المجيء أشمل من الإتيان؛ لأنّ القدومَ الذي فيه صعوبة يكون مجيئا، والقدوم الذي فيه سهولة هو الإتيان. هذا الاختلاف لم يرد في بقيّة المعاجم.

ولكن في *لسان العرب*، تمّت مراعاة استخدام هذا المعنى في بعض الاستخدامات. يُقال: "أَتَيْتُ الماءَ"، عندما يكون الماء سهلا في جريانه. حتى فعل "جاء" أثقل من "أتى" في التلفّظ بدليل أنّه لم يرد في القرآن فعل مضارع لـ"جاء" ولا أمر ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول، ولم يرد إلا الماضي وحده بخلاف "أتى" الذي وردت كل تصريفاته، ثمّ إنّ التناسب بين ثِقل اللفظةِ وموقِعِها موجودٌ.

وأحال في كتابه *لسات* ـ تأييدا لكلامه ـ إلى استعمال هاتين اللفظتين في سورة إبراهيم الآية 12 وسورة الروم الآية 9 وسورة فاطر الآيتين 25، 26، ويرى أنّ مسؤوليّة موسى(عليه السلام) في سورة النمل أصعب من القصص؛ لأنّه في سبيل تبليغ رسالته طُلب إليه في القصص أن يبلّغ فرعون وملئه. وتبليغ القوم أوسع وأصعب من تبليغ الملأ، ذلك أنّ دائرة الملأ ضيقة، وهم المحيطون بفرعون في حين أنّ دائرة القوم واسعة، لأنّهم منتشرون في المدن والقرى، وأنّ التعامل مع هذه الدائرة الواسعة من الناس صعب شاق، ولكن في آياتٍ مثل: ﴿أتى أمر الله﴾ و﴿جاء أمر الله﴾ و﴿اذا جاءتهم الساعةُ بغتةً﴾ (الأنعام 26: 31) ﴿أتتكم الساعة﴾ (الأنعام 26: 00)، يجب النظر إلى السياق من جديد، فكلمة "جاءتهم" متعلّقة بالمتحسّرين يوم القيامة، حيث ظروفهم صعبة (2006 م، ص97).

في *البرهان*، أيضا ذُكر هذان الفعلان بمعنى واحدٍ. ووجود كلمة "أتى" في سورة القصص يتناسب مع السورة وقد تكرّرت فيها هذه اللفظة أكثر، كما أنّ كلمة "جاء" ومشتقاتها تكرّرت أكثر في سورة النمل؛ مثل "فلمّا جاءهم وجئتك" (1975 م، ج 1، ص94).

* لم ترد آية ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ﴾ (النمل 27: 8)، في سورة القصص. ولأنّ موقع النمل هو التعظيم فإنّ لهذا الكلام دلالةً على عظمة الخالق.

* ﴿يا موسي﴾ (النمل ٢٧: ٩)، و﴿أَن يا موسى﴾ (القصص ٢٨: ٣٠).

سبب وجود حرف أَن المُفَسِّرة: ١ـ المقام في النمل هو مقام تعظيم لله وتكريم لموسى، فلهذا السبب جاء النداء مباشرا، في حين ليس المقام كذلك في القصص، فجاء بما يفسّر الكلام، أي: ناديناه بنحو هذا، أو بما هذا معناه، فهناك فرق بين قولك: "أشرت إليه أن اذهب" و"قلت له اذهب" فالأوّل معناه: أشرت إليه بالذهاب، بأيّ لفظ أو دلالة تدلّ على هذا المعنى، وأمّا الثاني فقد قلت له هذا القول نصّا بشكلٍ مباشر "اذهبْ"؛ ٢ـ المقام في سورة القصص مقام تبسّط وتفصيل فجاء بـ"أن" لتلاؤمها مع التبسط؛ كما أنّ ثقل التكليف في النمل أصعب ويستدعي المباشرة في النداء (السامرائي، ٢٠٠٦م، ص ٩٩).

* ﴿إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (النمل 27: 9)، و﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص 28: 30).

لضمير الشأن دلالةٌ على العظمة والتعظيم. لم يأت هذا الضمير في سورة القصص، وجاء الاسمان الدالان عليه في النمل، أيْ العزيز والحكيم للدلالة على التعظيم. الآن يجب النظر في هاتين اللفظتين وما بينهما من تناسب مع مقام ثقل المسؤوليّة. فإنّ فرعون حاكمٌ متجبر يرتدي رداء العزّة فلقد أقسم السحرةُ بهذه العزّة. ولقد اختار الله تعالى من بين أسمائه كلمة العزيز مع "ال" التعريف للدلالة على أنّه هو العزيزُ ولا عزيز سواه، واختار كلمة الحكيم أيضا للدلالة على اتصاف الباري تعالى حصريّا بهذين الوصفين. لو لم تأتِ هاتان الكلمتين معرّفتين لفُهِمَ أنّ آخرين يشاركون الله تعالى في هاتين الصفتين. من جهة أخرى عندما قال اللهُ تعالى: ﴿**يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (النمل 27: 9)، لم يذكر أنّ موسى سأل ربّه أن يعزّزه ويقوّيه بأخيه؛ ولكن عندما لم يستخدم في آية القصص كلمتَي العزيز والحكيم، ذُكر طلبُ موسى (عليه السلام) من ربّه العزّةَ.

* ﴿**أَلْقِ عَصَاكَ**﴾ (النمل27: 10)، و﴿**أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ**﴾ (القصص 28: 31). حول "أَلْقِ عَصَاكَ": هذا الكلام لله تعالى هو قولٌ مباشرٌ ودالٌّ على التكريم. لكن "أن أَلق"، فبمعنى أنّه ناداه بهذا المضمون كأن تقول: ناديتُه أن اِذهب يعني ناديته بالذهاب، فهذا النوع من النداء يختلف عن النداء المباشر.

* ﴿**يَا مُوسَى لا تَخَفْ**﴾ (النمل 27: 10)، و﴿**يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ**﴾ (القصص 28: 31). لإضافة كلمة "أَقبل" دلائلُ مختلفة من جملتها: مقام الإيجاز في سورة النمل يستدعي عدم الإطالة بخلاف مقام سورة القصص الذي يقتضي التفصيل. فجوُّ الخوف في القصص وحالةُ فرار موسى، جعله يدعوه إلى الاطمئنان وعدم الخوف.

* ﴿**إِنِّي لا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**﴾ (النمل 27: 10)، و﴿**إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ**﴾ (القصص 28: 31). هذه الآية أيضا دليلٌ آخر على وجود جوّ الخوف والرعب في سورة القصص، وعلى أنّ الخائف بحاجة إلى الأمن (الآلوسي، ١٤١٥ هـ.ق، ج 10، ص16).

يعتقد السامرائي أنّ المقامَ في سورة النمل هو مقام التكريم، لهذا قال تعالى: ﴿**إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**﴾. في الآية إشاره إلى أنّ موسى من جملة المرسلين ولفظةُ "لديّ" تُفيدُ القربَ، وجاءت مع دلالتها على مقام التكريم والتشريف مع النداء "يا موسى"، ولم يفصُل بين المنادِي والمنادَى. كذلك لم يقل "أن يا موسى" كما قال في القصص، وحتّى إنّه عقب ذلك أمرَهُ في سورة النمل بالفعل "ألق" بما يفيد القرب. وجاء من دون حرف "أن" كي يكتمل هذا التناسب.

من ناحية أخرى، تقول الآية "إنّي لا يَخافُ لَديّ المرسَلونَ" ولم يقل: "لا يخاف منّي"، أي إنّ لفظة "لديّ" استُخدمت في مكانها، لأنّ المرسلين لا يخافون بحضرته ولكنّهم في الإجمال يخشون الخالق ويخافونه (السامرائي، 2006 م، ص 102).

* ﴿**إِلا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنا بَعْدَ سُوءٍ**﴾ (النمل 27: 11). أثارت هذه الآية جدلا بين العلماء حول كون الأنبياء ظالمين أم لا؟

بحسب رأي السامرائي، وردت هذه الآية في القصص بشكل آخر لا يُحسن أن يُقال "إنّك مِن الآمنين إلا من ظلم" ولو قال هذا لم يكن كلاما؛ ومن ناحية أخرى ناسبَ ذلك قولَ ملكة سبأ: ﴿**ربّ إنّي ظلَمْتُ نَفسي**﴾ (النمل ٢٧: ٤٤). إنّ ملكة سبأ ظلمت نفسَها بسجودها للشمس من دون الله، ثم بدّلت حسنا بعد سوء. لاحظَ السامرائي أنّ مقام موسى (عليه السلام) مختلف عن مقام ملكة سبأ، فموسى (عليه السلام) لم يكن كافرا بالله، حتّى إنّه قال بعد قتله القبطي: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي**﴾ (القصص ٢٨: ١٦). إنّ موسى لم يبدّل حسنا بعد سوء، أي إنّ آية "إلّا مَن ظلم" تشمل غير الأنبياء مثل ملكة سبأ وليس الأنبياء، مع أنّ موسى استعمل عبارة "ظلمتُ نفسي" (السامرائي، ٢٠٠٦ م، ص ١٠٢). يعتقد صاحب *الميزان* أنّ الاستثناءَ هنا هو استثناءٌ منقطع، أي غير

المرسلين الجميعُ ظالمون وليسوا بمأمنٍ من العذاب ويجب أن يخافوا ولكنّ التائبين منهم الذين بدّلوا السوء بالخير هم في أمانٍ مثل المرسلين (١٤١٢ هـ.ق، ج ١٥، ص٤١٠).

المقصود من الظلم المطلق عصيانُ الله. إذن المقصود هم غير الأنبياء الذين هم مثل الأنبياء لديهم مقام العزّة. البعض لم يعدّوا الاستثناءَ منقطعا وعدّوا الأنبياء من ضمن الظالمين، ولكنّهم برّروا أنّ المقصود من الظلم الأنبياء ترك الأولى الذي لا يتنافى مع العصمة مثل آدم ويونس عليهما السلام.

* ﴿**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْما فَاسِقِينَ**﴾ (النمل27: 12)، و﴿**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْما فَاسِقِينَ**﴾ (القصص 28: 22). في سورة القصص، تمّت الاستفادة من فعل الأمر "اسْلُك"، ولهذه الكلمة استخدام كثير في سلوك السبل. ذكر السامرائيّ أربع نقاط حول هذا الأمر:

الأول: تردّدَ سلوك السبل كثيرا في سورة القصص، وهو غير موجود في سورة النمل، مثل سلوك صندوق موسى في اليم، وسلوك أخته وهي تقصّ أثره، ومسار الفرار إلى مدين وسلوكه السبيل إلى العبد الصالح، في حين لم تستخدم حتى كلمة في معنى الحركة في سورة النمل عن سيرهِ بأهله بعد قضاء الأجل: ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾ (النمل27: 7). لكن في سورة القصص استُخدمت عبارة "سار بأهله"؛

الثاني: الفعل "دخل" تكرّر عدّة مرات في النمل، في حين لم يكن الأمر كذلك في القصص؛

الثالث: إنّ الإدخال أخصُّ من السَّلك أو السلوك، لأنّ السَّلك أو السلوك قد يكون إدخالاً وغير إدخال، سلكتُ المكانَ يعني سرتُ فيه. سلكتُ الخيط في المخيط يعني: أدخلته فيه. فالإدخال أخصّ وأشقّ من السلك والسلوك، وإنّ السَّلك قد يكون سهلا ميسورا؛ مثل: "فاسلكي سبل ربك ذُللا"، كلمة الذُّلل تعني السهولة. يشير السامرائي الي التناسب ويقول: وناسبَ أن يوضع الإدخال وهو أخصّ من السلوك مع "الشهاب القبس" الذي هو أخصّ من الجذوة. يعتقد الكرماني في *البرهان* أنّ كلمة "أدخِلْ" في هذه السوره أبلغ من كلمة "اُسلك"، لأنّ "اُسلك" فعلٌ لازم ومتعد أيضا في حين أنّ "أدخِل" هو فقط متعدٍ (بلا تا، ص ١٩٢).

* ﴿**اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْما فَاسِقِينَ**﴾ (القصص 28: 22). هذه الآية وردت في القصص ولم يذكر مثل ذلك في النمل. وكلمة الرهب هو الخوف، وهو مناسب لجوّ الخوف والتفصيل في سورة القصص.

* ﴿**فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ**﴾ (النمل 27: 12)، و﴿**فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ**﴾ (القصص 28: 22). وهنا أيضا بسبب الاطمئنان، أعطاه في سورة النمل تسع آيات، أي المعجزة، وذكر في القصص برهانين، وذلك لما كان المقام في النمل مقامَ ثقة وقوة وسّع المهمة، ولما كان المقامُ مقامَ خوف في القصص، ضيّق المهمة وقلّل من ذكر الآيات. لفظة الآيات تكرّرت في النمل عشر مرّات، مراعاة للتناسب، في حين تردّدت في القصص ستّ مرات.

* ﴿**إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْما فَاسِقِينَ**﴾ (القصص28: 22)، و﴿**إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ**﴾ (النمل 27: 12). دائرة التبليغ في النمل أكبر، بحيث تتناسب مع جوّ تكريم موسى (عليه السلام) وثقته بنفسه إشارة إلى كثرة الناس في القوم وقِلّتهم في الملأ (السامرائي، 2006 م، ص 105).

* ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ (النمل 27: 13)، و﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ**﴾ (القصص 28: 33) (السامرائي، 2006 م، ص106). طبعا هنا لا يوجد تشابه في الآيات، ولكنّ السامرائي ذكرها من أجل استكمال المعنى.

٦ـ٦ـ رأي الباحثين والمفسرين

البحث في الآيات المتشابهات من وجهة نظر بعض الباحثين القدماء والجدد:

تناول كتابُ *ملاك التأويل* هذا البحثَ على نطاقٍ واسع ودرس القصّةَ في السور الثلاث طه والنمل والقصص، وعدّ مواضع الخلاف هي في الزيادة والنقصان والتقديم والتأخير، وقال: الألفاظ المتعدّدة ذات المعاني المتحدة التي هي المترادفات مثل لفظة "الأسد" ولفظة "الليث"، وكلاهما تدلان على الحيوان المفترس. في هذه الآيات، إنّ "القبس والجذوة وشهاب القبس" بالنسبة إلى النار مثلها مثل "السيف والمهنّد" بالنسبة إلى السيف الذي في كلّ حالة يكون له اسمٌ، ولكن المسمّى يدلّ على معنى واحد، والعرب يضعون ألفاظا مختلفة لذلك الوضع عند تعميم الشيء والكثرة في الكلام (بلا تا، ج 2، ص221). ثمّ يضيف:

> **بعث اللهُ كلّ نبيٍّ بلسانِ قومه، موسى تكلّم مع عائلته باللغة العبريّة. هذه الآية التي ورد فيها الفعل امكثوا وحُذف في سورة النمل هي حوار بلغة عائلته، إذ إنّ تلك العائلة تُدرك الكلامَ بالإشارة أو القرينة أو الحال، قد تكون لغة حوار عاديّ، ولقد وصف القرآنُ هذه القصّة مرّة بمعنى الكلام، والهدف كانت قد فهمته العائلة، ومرّة أخرى اختصر المقصود. حول لَعَلِّي آتِيكُمْ وسَآتِيكُمْ ربّما كان معناهما في لغتهم قريبين من بعضهما؛ لأنّ حرف السين بمعنى التسويف ولعلّ له أيضا المعنى نفسة فضلا عن الرجاء. أمّا تقديم القبس في آية وتأخيره في آية أخرى فهو نقلُ مفهوم القصة من اللغة العبريّة باللغة العربيّة. لقد ذكر اختلاف سورة النمل مع سورة القصص في اختصار النمل وإطالة القصة في سورة القصص نظرا إلى جوّ الخوف، في النتيجة إنّ هذه السور الثلاث تحتوي على نقاطٍ وترابطٍ بشكلٍ لا يمكن استبدال الكلمات فيها** (المصدر نفسه، ج 2، ص222).

أشار الكرماني في *البرهان* باختصار شديد إلى أنّ سورة النمل هي في مقام الخوف (بلا تا، ص99)، وأيضا أشار إلى آيات سورة طه والنمل والقصص، حيث كلّ سورة تشير إلى أحداث رحلة موسى مع زوجته إلى مصر والبقاء في الطريق. جاءت قصّة موسى في البداية في سورة طه مفصّلة وفي سورة النمل مجملة ثمّ في سورة القصص مفصّلة. تكرّرت كلمة "لعلّي" في القصص مرّتين والمعنى مستتر فيها؛ الحرف أو "أو أجِد" معادلٌ لـ"لعلّي" الأولى والفعل "آتيكم" هو تضمين لمعناها أيضا "لعلي الثانية". ولـ"شهاب قبس والجذوة"، المعنى نفسه تقريبا في السور الثلاث (بلا تا، ص ١٧٤).

في *درّة التنزيل* يُطرح أيضا السؤال كيف يمكن أنّ يدّعي القرآن عدم وجود خلاف، في حين أنّ القصة تتكرّر بألفاظ مختلفة؟ ولقد ورد في الجواب، اللهُ تعالى لم يقُل إنّه تكلّم مع موسى باللغة العربيّة، أو بألفاظ بحيث إذا عدل عنها يكون فيها اختلاف. هذه الآية ﴿**إِذْ رَأَى نَارا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدى**﴾ (القصص ٢٨: ٢٩)، هي بمعنى ﴿**سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾ (النمل ٢٧: ٧) (هدى تعادل بخبر)، لأنّ الخبر الذي يأتيهم به موسى (عليه السلام) هو أن يجد قرب النار شخصا يدلّه على الطريق، الهدى هو الدليل الذي يدلّ الشخصَ على الطريق الصحيح أو يدلّه على مطلبٍ آخر ولا خلافَ في ذلك (الخطيب الإسكافي، بلا تا، ج1، ص891).

أما آية اللهِ معرفت فيكتب في *التمهيد* استنادا إلى كلام الخطيب والكرماني حول الآيات المكرّرة قائلا: معلومٌ أنّ الله تعالى عندما كان يتكلّم إلى الأمم السابقة كان ذلك نقلا للمعنى، لا سيّما عند طرحِ أقوالهم واحتجاجاتهم التي كانت بغير اللغة العربيّة

ويمكن لناقل المعنى المتناسب مع مقصوده أن يستفيد من اتساع الألفاظ، وينقله كلّ مرة بحسب مقتضى الحال. حول ارتباط معاني السور بعضها ببعض وتبريرات الأشخاص الذي يحاولون إيجاد هذه العلاقة، إنّه يعدُّ ذلك تكلُّفا مثل السور فهي ليست مرتّبة وفقا للنزول (١٣٨٦ هـ.ش، ج ٥، ص ٣٢٥).

من بين المحقّقين المعاصرين، نشير إلى نور الدين المنجد، فهو مثل السامرائي رفض الترادف؛ ولكن لديه مبرّرات أخرى. مثلا في كتابه *الترادف في القرآن الكريم* (بين النظريّة والتطبيق)، يرفض تفاوت فعل "أتى" وفعل "جاء"، التي ذُكرت في *مفردات الراغب*، أي بين مفهوم السهولة في الإتيان والصعوبة في فعل "جاء". ونظريّة السامرائيّ التي ترى أنّ موسيقى فعل "أتى" وتلفّظه أسهل من فعل "جاء"، لا أساس لها. لقد درسَ نورالدين عددا كبيرا من الآيات التي استُخدم فيها هذان الفعلان واعتقد أنّ في فعل الإتيان مفاهيم من التعقيد والشكّ والجهل وعدم القصد، ولكنّ الفعل جاء يؤدّي معنى العلم واليقين والقصد (١٩٩٧م، ص١٤٤)؛ إذ تتطلّب دراسته مقالةً أخرى وهذا ـ برأينا ـ رؤية جديدة ومعقولة.

كذلك مَطَني[١] في كتابه يشير في ذيل قصّة النبي موسى (عليه السلام) في سورة القصص إلى مقام الخوف فيها وإلى مقام الحسم في سورة النمل ويكتب: **«لكلمة سآتيكم دلالةٌ على اليقين، وعبارة لعلّي آتيكم، ليست يقينيّة تماما لأنّ الإنسان الخائف لا يمكنه أن يتحدّث بيقين. لقد أوضح بدقّة ووضوح أكبر هذه النقطة التي تحدّث عنها السامرائيّ بأنّ الرجاء هو من خصائص سورة القصص وأثبتَ دليلَه بآيات أخرى، مثل: لعلّكم تصطلون (4) عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا (1) لعلّهم يتذكرون (5) لعلّكم ترحمون (00)»** (2003 م، ج 1، ص429).

أشار السامرائي في *لمسات* إلى مقام الاطمئنان والثقة في سورة النمل وكذلك إلى مقام الخوف في سورة القصص، ذلك لأنّ موسى في النمل قبل المهمة ونفّذها من دون ذكر لتردّد أو مراجعة؛ ولكن في القصص ذكر مراجعته لربّه وخوفه على نفسه من القتل، لهذا اهتمّ السامرائيّ بإشارة الغرناطي حول مقام الخوف وشرحها بالتفصيل. من أصل 19 نقطة التي لوحظت في تشابه الآيات، كان 17 منها متناثرا في المصادر السابقة، بعض الأسباب مشتركة وبعضها لم تكن مشتركة.

تدور رؤية السامرائي حول مناسبة الآيات، هو يقول: انظر قوله تعالى في القصة، في البداية يقول الرب: ﴿**سآتيكم منها بخبر**﴾، ثم في آخر السورة، يقول: ﴿**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ (النمل ٢٧: ٩٣)، انظر مناسبة "سآتيم وسيريكم" (٢٠٠٦ م، ص٨٣).

الفرق بين وجهة نظر السامرائي وغيره من علماء البلاغة في القضايا التاسعة عشرة التي وصفها في الآيات المتشابهات الخاصة بموسى(عليه السلام) هو أنه قام بتطابق الآيات على جو الخوف والتكريم. كما ذُكر سابقا، لقد أشار الآخرون مثل الفخر الرازي والكرماني إلى هذا الأمر بشكل عابر.

هذا بينما وصف آخرون موقف الكلمات المختلفة وفقا لمعنى وعبارات آيات القبل أو البعد. على سبيل المثال، انتبه الكرماني في تبرير الآيات، إلى معاني الكلمات المشتركة فهو يؤمن بالفرق "ألق عصاك" نمل و"أن الق عصاك" ويعتقد أنّ آية النمل ﴿**فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ...**﴾ (النمل ٢٧: ٨)، و﴿**مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ (النمل ٢٧: ٩). "وألقِ عصاك" قد انفصل من الآيتين السابقتين بالواو ولا تحتاج إلى حرف "أَن". ولكن القصص تبدا بحرف "أن" وتكرارها واجب. أما السامرائي يشير إلى سياق السورة ويقول فعل "ألقِ" في سورة النمل يدل على تكريم موسى (عليه السلام)، لانّ الخطاب مباشر. إضافة إلى ذلك، يرى الكرماني

١. هو أستاذ في جامعة الأنبار في العراق، ولقد قدّم رسالته للدكتوراه في تحليل سورة القصص.

في الاختلاف آية ﴿**يا مُوسَى لا تَخَفْ**﴾ (النمل ٢٧ : ١٠)، مع ﴿**يا مُوسَى أَقْبِلْ وَلا تَخَفْ**﴾ (القصص ٢٨ : ٣١)، جملة "لا تخف" مرتبط بآية ﴿**إني لا يخاف لدي المرسلون**﴾ (بلا تا، ج ١، ص١٩٢). ولذلك، فإن تفسير جميع القضايا التسع عشر في سورة النمل والقصص في روية السامرائي هو تعبير خاص له.

الخاتمة

نظرا إلى سياق السورة ومقامها وجوّها، أراد السامرائي أن يبيّن الآيات لمتشابهة في قصّة موسى لإثبات أنّ هنالك حكمة تكمن وراء تغيير حرفٍ أو كلمةٍ، وساحة القرآن الكريم ليست خالية فقط من التكرار غير الضروري، بل هي شاهدٌ على الإعجاز الأدبي. وفي هذا المجال، استعان هذا الباحث بالعلماء القدماء، مثل: الغرناطي، واختار وجهة نظرهم في تبرير حالات الاختلاف في الآيات المتشابهة في القصص القرآنية ونقلَ عن مفسّرين، مثل: الفخر الرازي؛ ولكن نظرا إلى السياق الخارجي للآيات مثل شأن النزول، فيمكن أن يمنح عمقا أكبر لرؤيته.

يمكن تصنيف تفسيرات السامرائي في الآيات المتشابهة تحت عناوين مختلفة مثل المقام والسياق، وتناسب المعاني (الكلمات والآيات)، والتكرار العددي للألفاظ. وفي إضافته لعناوين جديدة إلى تقسيمات القدماء في الآيات المتشابهات، طرحَ بنيةَ الكلمات والمعاني الجديدة الناجمة عنها، وتمكّن أيضا في تبرير الآيات وترسيم جوِّ كلّ سورة من خلال التأكيد على الآيات الأخرى وترتيبها إلى جانب بعضها البعض من الابتكار في السبك وأظهر جمالات الآيات القرآنيّة من الناحية المعنوية والأدبية من خلال القصص القرآني تحت عنوان الحشد الفني. ومن خصائص أسلوبه هو استخدام أو ذكر الآيات في تأييده للموضوع دون توضيحات كثيرة وبأسلوب بسيط.

نظرا إلى أنّ الرجوعَ إلى كتب القدماء ليس ميسوراً أمام الجميع أو يحتاج إلى خبرة خاصّة، ونظرا إلى أنّ هذا النوع من الأبحاث المعاصرة يختلف عن تلك السابقة؛ فمهّدَ فاضل السامرائي ـ في نقلهِ لآراء حول الإعجاز الأدبي في القرآن ـ أمام الجيل الجديد خطوة مهمّة، من خلال ابتكاره وبراعته، ولقد وُوجِه في بعض الحالات بنقدٍ جدّي يستحقّ من الباحثين الاهتمام والدراسة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

أ ـ العربية

القرآن الكريم

1. الآلوسي، شهاب الدين. (1415 هـ.ق). ***تفسير روح المعاني***. بيروت: دار الكتب العلميّة.
2. ابن الجوزي، أبو الفرج. (1008 هـ.ق -1987م). ***فنون الأفنان في عيون علوم القرآن***. بيروت: دار البشائر.
3. ابن قتيبة، عبد الله المسلم. (1973م). ***تأويل مشكل القرآن***. (تحقيق أحمد صقر). (ط ٢). القاهرة: مكتبة دار التراث.
4. ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414 هـ.ق). ***لسان العرب***. بيروت: دار صادر.
5. الرازي، فخر الدين. (1020 هـ.ق)، ***التفسير الكبير (الرازي)***. (ط 3). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٦. الجبالي، محمد رجائي. (٢٠١٢م). ***توجيه المتشابه اللفظي في القرآن بين القدمى والمحدثين (الغرناطي والسامرائيّ)***. رسالة الدكتوراه قسم القرآن والحديث اكاديميّة الدراسات الإسلاميّة. كوالالمبور. جامعة مالايا.

٧. المصطفوي، حسن. (١٣٦٨ هـ.ش). ***التحقيق في كلمات القرآن***. طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي.

٨. الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله. (بلا تا). ***درة التنزيل وغرة التأويل***. بيروت: دار التراث العربي.

9. دريول كريم، عبد الزهرة. (٢٠١٤ م). ***أثر الدلالة في التوجيه النحوي عند الدكتور فاضل السامرائي***. كلية الآداب. جامعة بغداد.

10. الراغب الإصفهاني، محمد. (1412 هـ. ق). ***المفردات في غريب القرآن***. دمشق وبيروت: دارا لعلم الشامية.

11. رجايي أحمد الجبالي، محمد. (٢٠١٢ م). ***توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين***. أطروحة الدكتوراه. جامعة مالايا.

12. الزمخشري، جار الله. (1001هـ.ق). ***الكشاف***. ج 4. بيروت: دار الكتب العربية.

13. الزركشي، محمد بن بهادر. (1975 م). ***البرهان في علوم القرآن***. (تحقيق إبراهيم عبد لله كردي). بيروت: دار المعرفة.

14. السامرائي، فاضل صالح. (1998م). ***التعبير القرآني***. الأردن: دار عمار للنشر.

15. ـــــــــــــــــ . (2006 م). *لمسات بيانيه في نصوص من التنزيل*. القاهرة: شركة العاتك للنشر.

16. السامرائي، محمد صالح. (2009م). ***دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التاويل***. عمان الأردن: دار عمار للنشر.

17. السيوطي، جلال الدين. (1996م). ***الإتقان في علوم القرآن***. لبنان: دار الفكر.

18. الطباطبائي، محمد حسين. (1412 هـ.ق). ***الميزان ترجمة فارسي***. *قم: إسماعيليان*.

١٩. الطريحي، فخر الدين. (١٣٧٥هـ.ش). ***مجمع البحرين***. طهران: مكتبة المرتضوي.

٢٠. العارف، عبد الرحمن حسن. (٢٠٠٢م). ***تمام حسّان رائدًا لغويا***. القاهرة: عالم الكتب.

٢١. العلوي، يحيى بن حمزة. (١٤٢٣ هـ.ق). ***الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز***. (تحقيق عبد الرحمن بن عبد الخالق). بيروت: المكتبة العصرية.

٢٢. الغرناطي، ابن الزبير. (بلا تا). ***ملاك التاويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل***. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٣. قريشي، علي أكبر. (١٣٥٢ هـ.ش). *قاموس القرآن*. طهران: دار الكتب الإسلامية.

٢٤. الكرماني، برهان الدين. (بلا تا). ***البرهان في توجيه متشابه القرآن***. القاهرة: دار الفضيلة.

٢٥. المُطعِني، عبد العظيم. (١٩٩٢م). ***خصائص التعبير القرآنية***. مصر: مكتبة الوهبة.

26. مَطني، محمد. (3003 م). ***سورة القصص دراسة تحليلية***. رسالة الدكتوراه. كلية العلوم الإسلامية. بغداد.

27. معرفت، محمّد هادي. (1386 هـ.ش). ***التمهيد في علوم القرآن***. قم: التمهيد.

28. المعنونة، نبأ شاهر إسماعيل. (2013 م). ***استدراكات الدكتور فاضل السامرايي على تراث النحو العربي***. رسالة الماجستير. جامعة الديالي.

29. المنجد، محمد نور الدين. (1997 م). ***الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق***. دمشق: دار الفكر.

٣٠. نصّار، حسين. (٢٠٠٣ م). ***التكرار اللفظي في القرآن***. القاهرة: مكتبة الخانجي.

ب ـ الفارسية

٣١. علوی مقدم، محمد. (١٣٧٢هـ.ش). **در قلمرو بلاغت**. مشهد: الآستان قدس رضوی.

ج ـ الدوريات

٣٢. *الأهرام*. (٢٩ / ١١ / ٢٠١٧).

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی